

إعادة النظر في العقلانية Rethinking rationality

ناصر قاسيمي

جامعة لونيبي علي البلدية 02

n.kacemi@univ-blida2.dz

حفصية بعيسى *

جامعة لونيبي علي البلدية 02

hafsiabaai85@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/11/05 تاريخ القبول: 2026/05/31 تاريخ النشر: 2026/07/31

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مفهوم العقلانية من منظور سوسيولوجي نقدي، إذ تستعرض أصولها الفلسفية وتفرعاتها المذهبية، من الدكارتية إلى الوضعية، وتحلل الدراسة تحول العقلانية من مشروع تنويري تحرري إلى منطق أداتي يهيمن على المؤسسات الحديثة، مبرزاً مخاطر اختزالها في حسابات الكفاءة والمنفعة، كما يفحص المقال إشكالية التمييز بين العقلية والعقلاني والعقلانية، وي طرح مقارنة الانتقاء المرجعي كإستراتيجية معرفية بديلة، كما تضمن هذا المقال الإسهامات السوسيولوجية الفيبيرية في تأصيل المفهوم، مع نقد النموذجي المثالي ومحدوديته المنهجية.

ويخلص البحث إلى ضرورة بناء عقلانية نقدية مفتوحة تجمع بين الفعالية التقنية والقيم الإنسانية والتي تتجاوز المركزية الأوربية نحو عقلانيات سياقية متعددة ويوصي بإجراء دراسات امبريقية محلية وتطوير مقاربات تكاملية وتعزيز العقلانية التواصلية في الفضاء العام .

الكلمات المفتاحية: عقلانية، مجتمع حر، مجتمع تقليدي، فعل عقلاني، انتقاء مرجعي، فكر تنويري، حادثة، ما بعد الحادثة، لا عقلانية العقلنة.

Abstract :

This article addresses the concept of rationality from a critical sociological perspective, tracing its philosophical origins and doctrinal branches, from Cartesianism to Positivism. The study analyzes the transformation of rationality from an enlightening and liberating project into an instrumental logic that dominates modern institutions, highlighting the risks of reducing it to mere calculations of efficiency and utility.

The article also examines the problematic distinction between mentality, rational, and rationality, and proposes reference selection as an alternative epistemological strategy. It includes Weber an sociological contributions to grounding the concept, along with a critique of the ideal type and its methodological limitations.

The paper concludes with a radical critique of modern rationality, inspired by various sociological schools, showing how rationality has turned into a tool of domination. The research calls for the

* المؤلف المرسل

construction of an open and critical rationality that combines technical efficiency with human values, transcends Eurocentric thought, and embraces multiple contextual rationalities. It also recommends conducting local empirical studies, developing integrative approaches, and enhancing communicative rationality in the public sphere.

Key words:

Rationality, Free society, Traditional society, Rational action, Reference selection, Enlightenment thought, Modernity, Postmodernity, The irrationality of rationalization.

مقدمة :

تعد العقلانية من أكثر المفاهيم إثارة للجدل في تاريخ الفكر الإنساني، فهي تتموضع في قلب النقاشات الفلسفية والاجتماعية والسياسية منذ عصر التنوير وحتى اللحظة الراهنة ، اذ شكلت العقلانية المحرك الأساسي للحدثة الغربية، ووصفت بأنها السمة المميزة للإنسان عن سائر الكائنات، كما إعتبرت المعيار الذي يقاس به التقدم والتطور الحضاري، غير أن هذا المفهوم لم يكن يوماً أحادي البعد أو الثابت المعنى فالعقلانية تتعدد تجلياتها بين العقلانية الأدائية والقيمية التي تعنى بالمبادئ و المعايير الأخلاقية والعقلانية التواصلية التي تهتم بالحوار والتفاهم بين الذوات في السياق الاجتماعي المعاصر، تواجه العقلانية تحديات غير مسبوقة تفرضها التحولات الكبرى التي يشهدها العالم من هيمنة المنطق الاقتصادي و التقني على مختلف مجالات الحياة، إلى صعود الخطابات الشعبوية والهوياتية التي تتحدى المنطق العقلاني مروراً بأزمة الثقة في مؤسسات العلمية والخبرة التقنية، هذا الواقع المعقد يدفعنا إلى إعادة النظر في العقلانية ذاتها وماهيتها وحدودها وأشكالها وأدوارها في المجتمعات الإنسانية.

ومن هنا نتطرق إشكالية هاته المداخلة على سؤال محوري متمثل في كيف يمكن فهم العقلانية في سياقها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ؟ وما هي التحديات التي تواجهها في عالمنا المعاصر؟

اذ يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية وهي تفكيك مفهوم العقلانية وفحص إبعاده المختلفة من منظور سوسيولوجي مع الوقوف على التحولات التاريخية التي طرأت عليه، إضافة إلى كشف التناقضات من خلال إبراز التوترات والمفارقات الكامنة في العقلانية الحديثة وتقديم النقد السوسيولوجي لانعكاسها على البنى الاجتماعية .

ولتحقيق هذه الأهداف اعتمدنا على منهجية متعددة الأبعاد من خلال تتبع التطور مفهوم العقلانية عبر مراحل مختلفة من التنوير إلى ما بعد الحداثة مع التركيز على السياقات الاجتماعية لكل مرحلة مع إتباع منهج التحليلي المقارن لمقارنة المقاربات النظرية المختلفة ماكس فيبر مدرسة فرانكفورت يورغن هابرماس وآخرون وإبراز نقاط الاتفاق والاختلاف بينها.

كما اعتمدنا على المنهج السوسيولوجي التفسيري لفهم كيفية تجسيد العقلانية في الممارسات الاجتماعية اليومية في المؤسسات الحديثة كالبيروقراطية والسوق و الدولة والإعلام والاتصال.

أولاً: العقلانية، أصولها، و ما تفرع عنها من مذاهب فكرية:

في ق 17 و 18 خاصة استخدم مصطلح العقلاني ليشير إلى المفكرين الأحرار المقاومين للإكليروس والدين، وفي الإنجليزية تعني عقلاني ملحد من الطبعة الحديثة، وكانت تعني عقلانية في بدايتها نظرة إلى العالم ليس فيها مكان لما هو ما وراء الطبيعة، مع أن هذه النظرة اختفت، وحلت محل العقلانية مصطلحات "الإنسانية" و"الإنسانية"، و "المادية"، و رغم ذلك ما زال المعنى القديم سائداً فقد استخدم العقلاني والعقلانية لوصف نظرة "ستيوارت مل" العلمانية ذات التفكير الحر.

والعقلانية بالمعنى الفلسفي لا تماثل العقلانية بالمعنى العلماني، فالعقلاني بالمعنى العلماني قد لا يكون عقلانياً بالمعنى التقني، فأن يكون الشخص عقلانياً بالمعنى الفلسفي لا يعني ذلك أنه منكر لوجود الله، أو حتى يشك في ذلك، وبعض الفلاسفة العقلانيين وضعوا الله في صميم أنظمتهم الفكرية، العقلانية (Cottingham, 1997). والعقلانية مرتبطة بمصطلح العقل، والعقلاني هو الشخص الذي يؤكد قدرات الإنسان العقلية تأكيداً خاصاً ولديه إيمان غير عادي بقيمة العقل والمحااجة العقلية، وهذا المعنى بعيد عن المعنى التقني للمصطلح، ومنذ سقراط وما بعده ظهر التأكيد على أهمية المحااجة العقلية لأي بحث فكري، والابتعاد عن الهوى الشعبي، واستخدام العقل لتحليل معتقداتنا ومفهماتنا وفحصها ونقدها، (Cottingham, 1997)، و يعتبر أرسطو أن سعادة الإنسان السامية تكمن في ممارسة قدرات العقل النظرية الخاصة. (Cottingham, 1997)

وبهذا المنطق فكل الفلاسفة عقلانيين، أما من الجانب التقني، فهناك فرق بين المفهوم الفلسفي والتقني للعقلانية، وقد كان التنويريون في القرن الثامن عشر يوصفون بأنهم "عقلانيون" بمعنى أنهم ملتزمون باستخدام العقل والحجة لتحرير الفلسفة من الخرافة، وهذا المعنى يمكن أن يكون مضللاً، لأن هناك فقط بعض التنويريين "عقلانيون" بالمعنى التقني. (Cottingham, 1997)

ثانياً: العقلانية بالمعنى المقيد والتقني:

وهي تختلف عن التجريبية التي تستهدف المعرفة من خلال التجربة الحسية، أما العقلانيون فيؤكدون على الدور الذي يقوم به العقل مختلفاً عن الحواس في اكتساب المعرفة، وبعض العقلانيين لا يثقون في الحواس للحصول على المعرفة، و يؤكدون

على المعرفة المكتسبة قبل التجربة، كما يزعمون أنه بنور العقل سنصل بمعزل عن التجربة إلى معرفة بعض الحقائق المهمة عن العقل البشرى والواقع و الكون. (Cottingham, 1997)

ثالثاً: إعادة النظر في العقلانية المادية كأداة للتفسير

في المنظور الرأسمالي تدل العقلانية على الفعل الرشيد وعلى تطبيق قواعد البيروقراطية وهي أساس استقرار العلاقات، وميز "ماكس فيبر" بين أربعة أشكال للفعل الاجتماعي وهي: الفعل التقليدي، والفعل العاطفي، والفعل الموجه نحو غاية عليا، والفعل الموجه نحو غاية دنيوية، وهذا الفعل الأخير هو الذي يصيغ الفعل العقلاني وميز "فيبر" بين أربعة أنواع من الأفعال الاجتماعية: الأول هو الفعل العاطفي والذي يستمد من عاطفة الفرد أو المجتمع، والفعل التقليدي وهو مرتبط بالفعل المعتاد والتقاليد والأعراف، والثالث هو الفعل العقلاني الهادف، إذ يتم اختيار الأهداف والوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأهداف، وأخيراً الفعل العقلاني القيمي.

وكما "ماركس" و "ماكس فيبر" تأثر "هابرماس" باعتباره ماركسيا بمعاني العقلانية التي تعنى الفعل الهادف، الذي يتحقق من خلال عقلانية الفعل التواصلية الخالي من الهيمنة، الحر والمفتوح، وتتضمن العقلانية هنا التحرر. (Ritzer & Stepnisky, 2021) في هذه الحال يبتعد معنى العقلانية عن الفعل العقلي الفلسفي بالمعنى المباشر، ولو أن ذلك ما زال مرتبطاً بإعمال العقل، لأن أصل تطور مصطلح العقلانية يرجع إلى مصطلح العقل في أعمال الفلاسفة، وتبقى النسبية أيضاً في الخطأ في تحديد الأهداف، والأولويات، والمصطلح الذي يبدو مهماً لنا في معنى العقلانية هو مصطلح الحرية، أو الفعل الحر الذي ليس له ضابط، ومصطلح الحرية المطلقة له قيمة أساسية في المجتمع المادي، وبالتالي فنظرية العقلنة أسهمت في هذا المشروع، مشروع إنشاء المجتمع المادي ومحاربة المجتمع التقليدي والديني.

والمشكلة في العلم الغربي والنظريات الغربية هي تعميم قراءاتهم على كل المجتمعات، أو كذلك يتوهمون، وقد انساقت وراءهم النخب العلمية في الدول الأخرى في المحيط الرأسمالي، فسارت لدى الجميع مرجعية واحدة هي مرجعية النظريات الرأسمالية الغربية، وهذا يعنى الاستمرار في عملية الإقصاء الممارسة في حق المجتمعات والفكر المحيط بالغرب الرأسمالي، وهذا الإقصاء هو وليد الفكر الاستعماري الغربي، المتعالي والرافض لكل ما هو صادر من باقي المجتمعات من أعمال علمية وفكرية.

رابعاً: إشكالية العقلي والعقلاني:

ترى النظرية النقدية أنه من وجهة نظر العقلانية يمكن أن نستنتج الشكل الأساسي للمجتمع العقلاني، فالبشر يمتلكون خاصية التفكير الرشيد، والمجتمع الرشيد هو الذي نشارك فيه جميعاً من أجل بناء وتعديل بيئتنا على النحو الذي نريد. (Leyder, 2000)

وهذا التوجه هو امتداد للنظرية النقدية، فقد تطور المنظور العقلي، إلى العقلاني، هذا هو أصل المصطلح، ونحن نتساءل عن مرجعية الفعل العقلاني، من أين يستمد قيم الخطأ والصواب في المجالات الحياتية التي تتطلب اللجوء إلى المعايير والقيم، وكل مجالات الحياة اليومية تتضمن بل وتعتمد على مجموعة من المعايير الأساسية، سواء كانت معايير تقنية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أخلاقية أو مادية أو معنوية، والمشكلة تكمن في المعايير المعنوية والأخلاقية والدينية، فيمكن للفعل العقلاني أن يجتهد كيف ما شاء في المعايير التقنية والتكنولوجيات المختلفة وتطوير العمران ووسائل النقل والمواصلات ومختلف الجوانب المعيشية، مع أن كل هذه لا يمكن أن تخلو من ضوابط قيمية مهما كان حجمها، لكن هل يمكن للفعل الرشيد أن يستنتج الشكل الأساسي للمجتمع العقلاني، وهو دون شك لا يعطينا نموذجاً واحداً لهذا المجتمع إذا اجتهد العقلانيون في مختلف المجتمعات، وهذا يعني أن العقلانية ليست واحدة، ولا موحدة في كل المجتمعات، بل هناك عقلانيات مختلفة، وهي بذلك ستنتج لنا عدة نماذج مجتمعية بقوانين متباينة حتماً، فالفعل العقلاني لا يستند إلى مرجعية أخلاقية وقيمية واحدة، بل إلى مرجعية العقل والعلم التحرري الغربي، وهو مناسب للعالم المادي أكثر من العالم المعنوي والأخلاقي.

وهنا نلاحظ مشكلة الفكر المادي، فالماركسية تضع الجوانب الاقتصادية والمادية في الترتيب الأول قبل الجوانب الأخلاقية والدينية، وكذلك العقلانية لا تضع لنفسها مرجعية أخلاقية ودينية، بل تضع القيم العقلانية في المرتبة الأولى، لكن من هو موجه ومرشد العقلانية، فالعقلانية فعل إنساني، وفي كل الأحوال هو فعل اجتهداني، وبما أنه فعل اجتهداني فهو يخطئ ويصيب، ومن جملة أسباب خطئه أنه خال من القيم الدينية والأخلاقية التي تصوبه، وشروط الفعل العقلاني معروفة وهي الهدف المدروس، وتحقيق الهدف بأقل جهد وأقل تكلفة وأقل وقت وبالفعالية والجودة المناسبة، أو هي تحقيق الفعل المناسب في المكان المناسب وفي الوقت المناسب، فأين المرجعية الأخلاقية والدينية هنا، لذا رأينا ألا نضع الفعل الرشيد في المرتبة الأولى بل علينا أن

نضع لهذا الفعل رقبيا روحانيا قيميا حتى يجنبه الخطأ، وهذا الرقيب هو القوانين الإلهية الأزلية، التي تعطي لهذا الفعل العقلاني صفة الوحدة والعمومية والشمولية والعالمية، بينما إذا كان منزوع القيم الروحانية فيبقى معزولا في نطاقه الجغرافي والاجتماعي والزمني، ولا يمكنه أن يكتسب صفة العالمية والشمولية، بل يكتسب صفات التشتت والنقص والقصور.

أما "هابرماس" فلم يشر إلى الجوانب الروحية، وأشار إلى الجوانب النفسية في تقسيمه للمصالح المعرفية المشتركة في كتابه المعرفة والمصالح البشرية، والذي ذكر فيه ثلاثة مصالح معرفية مشتركة لدى البشر، هي مصلحة تقنية فنية تتمثل في معرفة البيئة المحيطة والسيطرة عليها، وهي مهام العلوم الطبيعية، ثم المصلحة العملية المتمثلة في قدرة كل واحد على فهم الآخر، والعمل المشترك والتعاون في مجالات الحياة، ثم المصلحة التحررية المتمثلة في تخليص أنفسنا من كل ما يشوه عملية الفهم والاتصال، وهذا ما تقوم به العلوم النقدية كالتحليل النفسي. (Leyder, 2000)

ولنلاحظ هنا أيضا أين تنكسر بنية الفكر الغربي، "فهابرماس" كغيره وصل إلى الجوانب النفسية ولم يلامس الجوانب الأخلاقية والدينية والقيمية، وأزاحها تماما من هذا التصنيف، مقابل فرض العقلانية على أنها صحيحة ومصدر للحقيقة، وهذا يتنافى تماما مع الادعاء بالفكر التحرري، فالعقلي والعقلاني في الفكر الغربي يقع بين إجبارية رفض الديني وإجبارية فرض العقلي، وكان على الأقل لهذا الفكر أن يحافظ على حيادية وموضوعية العلم التي يمكن أن تقود إلى الإنصاف، لأن العلم الحيادي يرفض التعصب والإجبار، ونحن بذلك نتحدث عن العلم الحيادي مقابل العلم التحرري الذي جاء به الفكر الغربي، لأن العلم الحيادي يستند إلى الموضوعية ولا يقصي أي فكرة بسبب أحكام مسبقة، وبذلك يمكنه أن يصل إلى الحقيقة الكونية.

أما النظرية النقدية فقد لامست هذا المنحى، فهي في نقدها للحتمية الاقتصادية الماركسية، حاولت أن تصحح هذا الاختلال من خلال تركيزها على الجانب الثقافي، (Ritzer & Stepnisky, 2021) وتعنى بذلك الجوانب المعنوية، ولو توجهت إلى الجانب الديني لكان أعم وأشمل، لأن المنتج الثقافي في وسائل الاعلام وغيرها يخضع لحسابات المبرمجين، الخاضعين لمختلف المؤثرين من أصحاب المال والسلطة، بالتالي فإن المضامين الثقافية هي الأخرى يجب أن تبتعد عن المنطق اللاعقلاني، وعن هيمنة

الشركات الرأسمالية وأصحاب المصالح، و تخضع هي الأخرى للجانب الروحاني والديني.

لكن العديد من المنظرين النقيدين وصلوا الى مرحلة اليأس الشديد، فقد رأوا أن مشكلات العالم الحديث لم تكن الرأسمالية مصدرها الوحيد، وأنها متوطنة في عالم يتسم بالعقلنة، كانوا يرون المستقبل من المنظور الفيبري "قفصا حديديا " مشكلا من بنى عقلانية على نحو متزايد وأن الأمل فيه يقل مع الوقت، ورأت النقدية بالتحول من التركيز على الاقتصاد إلى التركيز على البناء الثقافي، نظرا لمبالغة الماركسية فيه. (Ritzer & Stepnisky, 2021)

وقد انتهت النقدية إلى عيوب المادية، فتحدثت عن المقاربة الثقافية لكن هذه المقاربة تخفف من الحالة المادية ولا تقدم العلاج النهائي، لأن الملاحظ في هذه الحضارة طغيان الفكر المادي في كل المجالات، فحتى الممارسة الثقافية واستهلاك المنتج الثقافي إذ ينظر إليه نظرة مادية، وبالتالي لا يمكن الاستغناء عن القيمي تماما، فالذين انتبهوا إلى المقاربة الثقافية كان من منطلق أن الثقافة تحتوى الكثير من الجوانب المعنوية، وهي تحدث التوازن مع الحياة المادية، وهذا صحيح إلى حد ما، لكن المشكلة هي طغيان الثقافة المادية على الثقافة المعنوية، لذا قلنا باستحالة تجاهل أو إلغاء أو محاربة المقاربة القيمية والأخلاقية في حياة الإنسان.

لقد صار المجتمع المادي مهيكلا بقوة، ولا يقبل أي بديل ينافسه أو يلغيه، فهو مدعوم من السياسي ومن الحكومات، ومن وسائل الاعلام المختلفة، ومتوغل في الحياة اليومية، في التجارة والإشهار، وفي البرامج التلفزية، وفي الأفلام السينمائية، وفي المسرح، ومتوغلا في أوساط النخبة الجامعية التي ستؤطر هذا المجتمع فكريا وإيديولوجيا، والتي ستكون قدوة لباقي فئات المجتمع، وكل ذلك مراقب ومتابع من قبل جماعات المصالح الرأسماليين أصحاب المال والأعمال، أصحاب كبار الشركات العالمية المالية والإعلامية والتجارية وغيرها، الذين دعموا وأعطوا كل الحماية لهذا المجتمع المادي، الذي تم تغيير طرق تفكيره تماما، وأساليب استنتاجاته، وجعلوه تائها عن سبب وجوده في الحياة، وأقنعوه أن سبب وجوده هو الاستهلاك ثم الاستهلاك و ثم التمتع بالاستهلاك قدر الإمكان، فإنسان المجتمع المادي يأكل ويتمتع، ويستمر في ذلك حتى الموت، فتلك هي غاية الحياة، حتى صار من الصعب إنقاذ هذا المجتمع أو تغييره لأن الأمر مرتبط بالقناعات الفكرية، وبأساليب التفكير المادية، وبعقيدة مادية لها مؤسساتها الرسمية في كل المجالات.

ومن أسباب محاربة المجتمع الديني والروحاني هو خوف المؤسسات الرأسمالية من الخسائر التي ستتكبدها، ومن النفوذ الذي ستفقد، ومصالحها التي ستتأثر، منها قيم الاستهلاك، والمصالح المالية، والحريات المبالغ فيها، وحقوق الطفل والمرأة، والأهواء المختلفة، فمن يقبل بالتنازل عن متعه ونفوذه وسلطته وأرباحه الخيالية، لذا تم استكمال هذا المشروع بالهجوم على هذا النموذج الروحاني بمناسبة وبغير مناسبة، وتشويهه بكل الأساليب، لذا فرما هناك من يندهش فيتساءل: لماذا تتدخل الحكومة الفرنسية بكبار سياسيينها ومفكرها في مسألة قطعة قماش تغطي رأس المسلمات؟ وجعل ذلك قضية دولة، وما دخلهم في مرآة مسلمة تلبس البوركيني للسباحة في البحر؟ والحقيقة أن ذلك بالنسبة لهم رمز ديني يهدد المجتمع المادي بوجود بديل له قد يهدده بالزوال، لذا يحرصون على ألا يرى المجتمع المادي أي بديل له، ويبقى النموذج المثالي الأوحده هو المجتمع المادي والثقافة المادية والمجتمع الاستهلاكي.

ومن أساليب هذه المحاربة تطوير الكثير من المصطلحات، أو إعادة صياغة مضامينها، مثل مصطلح التسامح، فكي يصير الشخص متسامحا فعليه أن يتنازل عن قيمه الروحانية والدينية، وأن ينسى التاريخ الاستعماري المليء بالإبادة والتعذيب والتقتيل والتجهيل والتشريد، وبالتالي يصير مقبولا وغير منبوذ في المجتمع المادي، وعليه ألا يكون متعصبا، فالتعصب يعنى أن يتمسك بدينه ويحرص على تطبيقه، لذا عليه أن يقبل بأن يكون متساهلا في دينه، وعليه أن يكون ديمقراطيا، والديمقراطي يقبل بوجود الآخر متعايشا معه، وعليه أن يقبل بحرية التعبير، وألا يتدخل في حرية أبنائه بل يتركهم يمارسون حرياتهم في تبنى الأفكار المادية، وممارسة حياة المجتمع الاستهلاكي، وإلا كان متطرفا، وعليه بأن يقبل بفكرة الاندماج، أي أن يندمج و يذوب في المجتمع المادي، ويتخلّى عن قيمه الروحانية، أو على الأقل لا يبرزها في الفضاء العمومي، هذا يعنى تكريس ديكتاتورية النموذج العالمي الرأسمالي الأوحده والقضاء على كل أشكال التنوع في العالم.

خامسا: العقلانية، أم مقارنة الانتقاء المرجعي:

العقلانية في الفكر السوسيولوجي الغربي هي مرجع أساسي لتوجيه الفعل، أما في مفهومنا فهي ليست مرجعا ونموذجا مثاليا، بل من الضروري أن يكون لها مرجعا أكبر وأكمل منها، فهي باعتبارها فعلا عقليا مقصودا يقوم به الإنسان للتحكم في الحياة اليومية وتوجيه الفعل عقليا نحو أحسن الاختيارات، يمكن أن تخطئ، فمهما اجتهد

الإنسان باسم القواعد العقلانية فتبقى ناقصة ولن تبلغ درجة الكمال، فرغم جهود العلماء والخبراء والحكومات فالأزمات الاقتصادية والمالية مستمرة، ولم يتمكن الاقتصاديون من حلها، ومشكلة الحكم والدولة لم يتمكن السياسيون ولا المختصون في علم السياسة من حلها، فالديموقراطية بحد ذاتها صارت أزمة، ومشكلة علاقات العمل في المؤسسات لم يتم حلها نهائياً، وأخلاقيات المهنة والاقتصاد والسياسة والقانون، ومشكلات الأسرة والشباب، والآفات الاجتماعية وغيرها تبقى أنظمتها ناقصة وفي كل مرة يتم مراجعتها لأسباب كثيرة، غير أن الحلول الفعالة تبقى بعيدة، لذا سنقترح مقارنة الانتقاء المرجعي الذي يحقق الرضا، مقابل نظرية الاختيار العقلاني الذي يحقق النجاح، فالانتقاء يعوض الاختيار، والعقلانية تعوضها المرجعية التي يعتمد عليها هذا الانتقاء، والرضا نعوضه بالنجاح، ونقصد بها انتقاء ما هو مناسب لكل مسألة من المرجعية القيمية والدينية، والتي على أساسها تبنى القرارات، التي نرى بأنها ستكون أكثر صحة من قرارات الاختيار العقلاني، ومما اعتبرناه سنداً لهذا الاختيار نظرية المقاصد الشرعية.

سادساً: العقلانية في علم الاجتماع، نقد العقلانية والنموذج المثالي:

النموذج المثالي لا يكون صالحاً في كل الأحوال، لأن هذا النموذج مرجعيته العقل، وهنا يكون الأمر نسبياً، فالنموذج المسمى مثالياً لن يكون مثالياً بسبب إمكانية خطأ العقل، وما دام النموذج مرجعيته العقل أو متطلبات الواقع، فهذا يكون الأمر نسبياً، وتختلف طبيعة النموذج، فإذا كان تقنياً فالأمر يخضع لمتطلبات العصر وحاجات الزبائن في زمن معين، ثم يتم تعديل النموذج التقني لأسباب كثيرة منها المنافسة ومتطلبات السوق، أما إذا كان النموذج اجتماعياً أو تربوياً أو فكرياً، فالأمر صعب إلى حد التعقيد، فما هي مرجعية هذا النموذج، فالعقلانية تستند إلى العقل في وضع النموذج وهذا ما يجعل النموذج معرضاً للخطأ.

لذا من الضروري أن نعيد النظر في مرجعية النموذج قبل أن نتحدث عن النموذج المثالي، وحتى تكون مرجعية النموذج مكتملة نرى بأن تكون مادية وروحانية، أي تجمع بين عمل العقل وإعمال الدين، هذه الأخيرة التي تحتكم إلى قوانين وقواعد الدين التي تعتبر كاملة ومكتملة.

فالعقلانية الشكلية تعلم ظاهراً من الحياة الدنيا وتغفل عن جوهرها، فهي تهتم بالتحكم في الحياة المادية، وزيادة مستويات الرفاهية، وحل مختلف مشاكل الحياة اليومية، بما فيها التسيير والصحة والغذاء، لكنها تنسى الجوانب المعنوية والروحانية.

وتركز المدرسة النقدية في المقام الأول على وجه واحد من العقلانية الشكلية، ألا وهي التكنولوجيا الحديثة (فينبرج) 1996 وقد انتقد (ماركوز) 1964 التكنولوجيا الحديثة بشدة لأنها تقود إلى الشمولية والهيمنة الخارجية على الأفراد، (Ritzer & Stepnisky, 2021) باستخدام التلفزيون والجنس، والرياضة الجماعية.

وقد فرض "ماركوز" القول بحيادية التكنولوجيا في العالم الحديث واعتبرها وسيلة للهيمنة على الناس، واعتبرت محايدة بينما هي في الواقع استعبادية، تقمع الفردية، وحريته الداخلية، والنتيجة هي ما سماه "ماركوز" "المجتمع أحادياً لأبعاد"، الذي يفقد فيه الأفراد القدرة على التفكير النقدي والسلبية اتجاه المجتمع، ولم يعتبر "ماركوز" التكنولوجيا في حد ذاتها هي العدو، بل طريقة استخدامها، فمهما كانت نقية. فهي تدعم استمرار الهيمنة. (Ritzer & Stepnisky, 2021).

وقد اتجهت ما بعد الحداثة إلى التخريب والتفكيك، وقد ركز "دريدا" على العقل من أجل البحث عن نظام فكري عالمي يكتشف ما هو جميل وصحيح، ووصفه بأنه قمع تاريخي للكتابة منذ "أفلاطون"، فقد أدى التمرکز على العقل إلى إغلاق الفلسفة والعلوم الإنسانية، لذا فإن "دريدا" يهدف إلى تفكيك مصادر هذا الإغلاق والقمع من خلال تحرير الكتابة من كل ما يستعبد بها، بمعنى تفكيك التمرکز على العقل. (Ritzer & Stepnisky, 2021)

وهذا النقد مهم لأن الاعتداد بالعقل سيؤدي إلى الكثير من المآلات أهمها إتباع الأهواء الفكرية والإيديولوجية وحتى النفسية، بل يتحدث "دريدا" عن ضرورة التحرر من ديكتاتورية الكاتب، هذا نضيفه إلى إعادة النظر في الكثير من التوجهات الفكرية والنظرية الغربية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وكما تحدثنا سابقاً عن تحطيم فطرة الإنسان والاعتقاد في النسوية والإنسانية، فإن المذاهب المادية الفلسفية والاقتصادية عملت على القيام بأدوارها التخريبية، خاصة تحطيم البنى الاجتماعية المعيقة للرأسمالية، وهذه أحد أهم الخلافات الجوهرية مع الرأسمالية وهي التدمير الخلاق، الذي تقوم عليه الرأسمالية.

وقد عبر "شومبيتر جوزيف" و "سويدبرج" عن هذا التدمير الرأسمالي الخلاق، وكان الابتكار أساسياً في الرأسمالية لا يحدث إلا بتدمير العناصر القديمة التي قد تعرقل

(Ritzer & Stepnisky, 2021)

وهكذا كما تحدثنا عن تحطيم البنى القروية، وتشويه ومحاربة فطرة الإنسان، نتحدث في الاقتصاد عن التدمير الخلاق، وفي السياسة نتحدث عن الفوضى الخلاقة التي تقودها الحكومات الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة، ويتحدث الديموغرافيون الرأسماليون والسياسيون عن المليار الذهبي، وهذا يتناقض تماما مع شعار العقلانية الذي ترفعه النظم الرأسمالية.

ورغم محاولة عقلنة الحياة العصرية الظاهرة، فإن المدرسة النقدية ترى العالم الحديث بإعتباره مليئا بالعقلانية (1955) ويمكن تسمية هذه الفكرة بـ "لاعقلانية العقلانية"، أو بدقة أكثر لا عقلانية العقلانية الشكلية، وقد رأى "هيربرت ماركوز" أنه برغم أن المجتمع يبدو مجسد العقلانية فإنه "غير عقلائي ككل" (1964) فمن غير المنطقي أن يكون العالم عقلانيا ثم يدمر الأفراد واحتياجاتهم وقدراتهم، وأن يتم الحفاظ على السلام من خلال التهديد المستمر بالحرب، وأنه رغم وجود الوسائل الكافية، يظل الناس فقراء ومضطهدين ومستغلين وغير قادرين على تحقيق حاجاتهم.

وقد انتقدت العقلانية بشدة من قبل الوضعية المنطقية والفلسفة التجريبية، فالمعتقد الأساسي للعقلانية هو أن الفكر مصدر مستقل للمعرفة، بل هو مصدر للمعرفة أكثر جدارة من التجربة، بل اعتبره بعض العقلانيين بأنه المصدر الوحيد للمعرفة. (Cottingham, 1997)

ويمكن ملاحظة أن المذهب العقلي جاء في فترة انتشر فيها الفكر التنويري الذي نعلم الظروف التاريخية والمعرفية التي أوجدته، وهي الفترة التي تم فيها تمجيد أعمال العقل، فالعقل الذي يكون بديلا للخرافة والمعرفة القبلية العامة يمكن أن نأخذه في الاعتبار، لكن التحفظ هو في أن يكون العقل بديلا للتجربة، فهناك الكثير من المعارف لا يمكن تحصيلها إلا من خلال التجربة وتكرار التجربة، ثم أن العقل لا يمكن أن يكون بديلا للدين، ولا مجال لتعويض الدين بأعمال العقل، فالعقل لما يضع نفسه بديلا للدين فلا يكون إلا مجموعة من الأهواء وضعها الإنسان، أو الاجتهادات التي لا تصل إلى الكمال.

والمشكلة أن العقلانية الغربية جاءت بعد القطيعة مع الدين المحرف الذي لم يتماش مع العقل ومع الخرافات، وهذه هي بعض نتائج تحريف الدين الصحيح، فربما لم يكن يتوقع أولئك الذين حرفوا النصوص الدينية الصحيحة هذه الانعكاسات التي نلاحظها في كل المجالات الفكرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية في الغرب ثم في العالم، ففرض

العقل للدين المحرف وللخرافات جعله يتحمل وحده مسؤولية النهوض بالحياة، فالعقل هو الذى ينظم الحياة وهو مرجعها القيمي.

وإذا تحدثنا عن العقلانية بمفهوم الرشادة في تسيير شؤون الحياة اليومية فيمكن قبولها بهذا المعنى في ظاهرها، والتي تعنى فعل الشيء الصحيح في المكان الصحيح وفي التوقيت الصحيح وبالتكاليف المناسبة، ولكننا نبقى دائما نتساءل ما هي مرجعية هذا الفعل الصحيح؟ وما هي المعايير التي تثبت صحته؟ وما أصل هذه المعايير؟ وسنتساءل عن القيم والأخلاقيات التي تتحكم في هذا الفعل، والتي تختلف حسب طبيعة الفعل وحسب القيم الاجتماعية والدينية لكل مجتمع، وفي كل الأحوال مهما ناقشنا فكرة العقلانية من مختلف الجوانب فإننا لا نصل إلى المطلق، وتبقى فكرة المرجعية والقيم تفرض نفسها بإلحاح على الباحثين.

والعقلانية التي لا تستند إلى قيم إيجابية ستؤدي إلى الكثير من الانحرافات في المجتمع، فالسعي إلى جمع المال بالعمل المسموح به قانونا هو فعل اجتماعي، لكن هناك الكثير من الأخلاقيات الضرورية لجمع المال والتي منها عدم الغش، وعدم التغيب، وعدم تضییع الوقت واستغلال الآخر، والاعتداء على الحقوق، ومن ذلك فالعقلانية الغربية غير مستندة إلى مرجعية أخلاقية ودينية تضبطها جيدا، فهي متقلبة تخضع للمصالح الآنية ولللأهواء، خاصة وأنها تخلت عن مبادئ الدين، فبماذا نضبط الفعل العقلاني إذا؟ نعم هناك القوانين وقواعد التسيير الإداري لكن المشكل أن هذه القواعد تبقى دائما مليئة بالثغرات التي ترجع إلى فقدان الضوابط الدينية والقيمية الصحيحة.

وهذا ما أكدته "ريتزر" في إحدى مسلماته الدراسية في أن العالم الحديث لديه تماسك أخلاقي أقل مقارنة بما كان موجودا في المجتمعات القديمة. (Cottingham, 1997)

سابعا: نقد العقلانية والحادثة:

استدل الكتاب بأولريش بك في حديثه عن المخاطر التي ربطها بالحادثة وبما بعد الحادثة، فالفرد كان يعتمد على الشبكة الاجتماعية في تسيير شؤونه وحماية نفسه، الآن صار يركب المخاطر بنفسه، وقد تحدثوا عن المخاطر الناجمة عن التكنولوجيا، والتلوث، وعن الخطأ في تسيير النووي، ولم يركزوا كثيرا عن مخاطر إبعاد الدين ومحاربة القيم، مخاطر الأزمات النفسية التي تسببها حياة ما بعد الحادثة، مخاطر الانتحار والعنف والاغتصاب، مخاطر استغلال الأطفال والنساء، المخاطر التي يسببها تجار السلاح في إشعال الحروب في مناطق التوتر في العالم.

وصار المال يبعد الكثير من المخاطر، والفقر يدعو للمخاطر التي تزداد في المجتمعات الفقيرة، كما تريح الدول المصدرة للتكنولوجيا من محاربة المخاطر الناتجة عن التكنولوجيا، أي يطلقون المخاطر ويستفيدون منها. (Ritzer & Stepnisky, 2021) الضجيج، والتلوث، من خلال تقديم حلول الأمان، الفيروسات في الحواسيب، وكوفيد وهكذا صارت المخاطر تجارة، وذلك بسبب تراجع حكم القيم.

ويتساءل الخبراء بشأن خطورة الحادثة المتقدمة، خاصة وأنه لم يعد باستطاعتهم الاعتماد على العلماء لتجاوزها، بل أن "أولريشبيك" يتهم العلماء في تسببهم في هذه المخاطر والحفاظ عليها، لقد صار العلم حامى التلوث والطبيعة، وإن العلوم قد أهدرت سمعتها التاريخية بسبب العقلانية، و (بسبب فقدان القيم) (Ritzer & Stepnisky, 2021).

والملاحظ أن النازية بجرائمها استفادت من العقلانية والبيروقراطية التي قدمتها الحادثة، فالنازية استعملت منتوج الحادثة في الإبادة وهي واعية بذلك، كما أنه لا مكان للاعتبارات الأخلاقية في بنيات الحادثة مثل البيروقراطية، فلم تكن مسألة إبادة الأجناس الأخرى أمراً صائباً أم خاطئاً تمثل مشكلة، فغياب هذه الاعتبارات الأخلاقية كان سبباً في جرائم النازية كإحدى مظاهر الحادثة. (Ritzer & Stepnisky, 2021).

وهنا يتجاهل البعض تماماً اعتبار الاستعمار، وإبادة الهنود الحمر وضرب هيروشيما من نتائج الحادثة، فالاستعمار هو نتاج الحادثة نظراً للتكنولوجيا الحديثة التي استعملها، وفي كل الأحوال هي ليست نتاج الحادثة كما يرى، فالتكنولوجيا محايدة والأصل يرجع إلى منتج ومستعمل هذه التكنولوجيا و هذه العقلنة البيروقراطية، التي تفتقد إلى منظومة قيمية ومرجعية دينية توجه هذا الاستعمال وتمنع حالات الظلم والإبادة والاستغلال، وحالات الاستعمار يطول الحديث عنها، وفي حالة الجزائر كانت حرب الإبادة الاستعمارية متعددة الأبعاد منها الحرب البيروقراطية التي نلاحظها في ترسانة القوانين التي كانت تستهدف تحكيم البنية الفردية والاجتماعية والشخصية الاجتماعية بصفة عامة، فما معنى قانون يلزم السكان الأصليين بدفع حق المشي على أقدامهم في الطريق، وما معنى إلزام السكان المحليين بعدم بناء نوافذ كبيرة في منازلهم، بل كان يفرض عليهم أن تكون صغيرة و مرتفعة في الأعلى، هذا يعنى قطع النور والشمس والهواء والنظر إلى فسحة الخارج، وبالتالي أرادوا أن تكون المساكن مثل السجون، وهذه القوانين لا تطبق على السكان الأوربيين، وما معنى إصدار قانون يمنع تعلم لغة السكان الأصليين، وما

معنى إصدار قوانين تمنع الألقاب الأصلية للسكان الأصليين واستبدالها بأسماء لا معنى لها أو تخدش الحياء، وهكذا فالاستعمار كان ملازماً للحادثة لأنها أعطته وسائل التفوق والقوة والظلم والقهر، والإمعان في تحطيم الشخصية الوطنية، والإبادة بعيداً عن كل القيم الأخلاقية و الدينية.

وهكذا يتحدث الكتاب عن لاعقلانية العقلنة، وهذه الحادثة التي تفتخر بالتحضر وقفت عاجزة عن منع جرائم النازية، و (الصهيونية)، ومن الضروري وجود وازع أخلاقي قوي يمنع ذلك، يمنع العقلنة من الخروج عن السيطرة. (Ritzer & Stepnisky, 2021) (وليس العقلنة ولا التكنولوجيا)

وحتى "هابرماس" يرى من الضروري إعادة الترابط بين النسق وعالم الحياة حتى يتم عقلنة الاثنين معاً، وتقيد تأثير النسق على عالم الحياة، و العكس صحيح، ولا يرى "هابرماس" الأمل في الولايات المتحدة ويصر على عقلنة النسق على حساب الإفقار المستمر لعالم الحياة، ويرى الأمل في أوروبا لأنها تمتلك إرث استبطان العقلانية الغربية بشكل مؤكد، ونلاحظ هذا الإرث في شكل قيود على عقلانية النسق من السماح لعقلانية عالم الحياة بالازدهار، إلى الحد الذي يسمح بوجود نوعين من العقلانية بالتساوي في عالم الحادثة، وقد تشكل مثل هذه الشراكة الكاملة بين عقلانية النسق وعالم الحياة اكتمالاً لمشروع الحادثة، غير أن المسافة ما زالت بعيدة لتحقيق هذا الهدف. (Ritzer & Stepnisky, 2021)

لقد تلاشى وهم وعد تحقيق الحادثة لهدف الرفاهية والسعادة، كما أن الفكر الغربي والسياسيين الغربيين بقوا تحت أسر هذا الوهم لمدة طويلة، وانحرف النقاش إلى البحث في الأسباب التي اتهمت الحادثة والعقلنة، أما "هابرماس" فقد دافع عن الحادثة فقط وركز على ضرورة إحداث التوازن بينها وبين الحياة اليومية، وهنا يبرز التفكير المادي كهدف للحادثة، وهو تحسين الحياة اليومية، واعتبر الولايات المتحدة عاجزة عن تحقيق هذا الهدف وهذا صحيح بسبب طبيعتها النفعية والمادية الخالية من المبادئ والقيم، لكن أن يقدم أوروبا بديلاً لأمريكا في تحقيق هذا الهدف نعتبره أيضاً اختياراً خاطئاً، فالولايات المتحدة هي نتاج الحضارة الأوروبية، وهي التي قادت العالم إلى هذه المخاطر ومنها النازية والاستعمار، ومخاطر التكنولوجيا ومختلف الأزمات الاجتماعية، ونعيب على هؤلاء نظرتهم الإقصائية، وأن العالم هو أوروبا والولايات المتحدة، وأن الحلول الإنقاذية موجودة هنا أو هناك، بعيداً عن البدائل التي يمكن أن تقدمها الحضارات الأخرى الشرقية والصينية مثلاً، فإذا تحدث "هابرماس" عن التوازن بين عقلانيتي النسق والحياة اليومية،

فمن يحقق هذا التوازن، فلا بد من عنصر ثالث يحقق هذا التوازن، و هذا العنصر الثالث هو الذى تم إزالته من الفكر الغربي والأمريكي وتركهم تائهين في البحث عن حلول زائفة، وكلما تاهوا غرقوا في الأزمات و المخاطر، فتحقيق هذا التوازن يكون بإدخال ميزان القيم والجوانب الروحانية التي تضبط حالة الجموح والحالة السائلة، وهذه الخصائص الروحانية والقيمية غيبت في أوروبا و أمريكا، وعلينا بالبحث عنها في الشرق الذى مازال إلى حد الآن يدافع من أجل الحفاظ على هذه القيم كما وردت في أصولها، والحل هو في إعادة إحيائها لتحقيق التوازن وتصحيح مسار الحداثة، وبالتالي فالحداثة ليست هي المشكلة بل المشكلة في أنها أبعدت عن مرجعية القيم الأخلاقية و الدينية التي تضبطها وتمنعها من الانحراف، ولو كان الأمر كذلك فإننا نجزم أن جرائم النازية والاستعمار ما كانت لتحدث أبدا، ولقلت كثيرا حالات الانتحار والأزمات النفسية والجريمة والعنف واستهلاك المخدرات والغش والفساد بكل أنواعه، لكن الفكر الحداثي يصر على حالة الصم والبكم والعمى اتجاه هذا الاختيار، بسبب العداء التاريخي، وبسبب اعتقاده المطلق في الحرية ووهم الديمقراطية والعلم التي نصبها كلها ديانة لهذا العصر، ويعمل على فرضها نمودجا مثاليا لكل شعوب العالم، مع منع ورفض ومحاربة البدائل السابقة، والمجودة حاليا هنا أو هناك في هذا العالم، وفي هذه الحالة يتخلى عن ديمقراطيته والاستماع إلى الرأي الآخر واحترامه واحترام حرية الآخرين، وبالتالي فالحل لا يمكن أن يوجد لا في أمريكا ولا في أوروبا على الأقل في الوقت الحالي).

خاتمة:

لقد سعت هذه الدراسة الى فحص مفهوم العقلانية من منظور سوسيولوجي نقدي من خلال إتباع أصوله الفلسفية وتحليل تفرعاته المذهبية إذ تبين أن هذا المفهوم قد تشكل عبر تراكمات معرفية طويلة، امتدت من الفلسفة اليونانية الى عصر التنوير مروراً بالفلسفة الإسلامية والفكر الأوربي الحديث، كما تم نقد تجلياته في الحقل الاجتماعي الحداثي، وقد اعتمدنا على المقاربة المتعددة الأبعاد بين التحليل التاريخي والنقد النظري والمساءلة الإستيمولوجية.. وهذا من خلال الى تحليل العقلانية بالمعنى التقني اذ بحثنا في كيفية تحول العقلانية من مشروع فلسفي تنويري الى منطق أداتي يحكم المؤسسات الحديثة والممارسات الاجتماعية، وقد كشفنا عن المخاطر الكامنة في هذا التحول، وبصفة خاصة عند اختزال العقلانية في حساب الكفاءة و المنفعة متجاهلة الأبعاد الإنسانية والقيمية.

وفي إطار إعادة النظر في العقلانية المادية كأداة للتغيير أظهرنا محدودية المقاربات الاختزالية التي تربط التحول الاجتماعي بالعوامل الاقتصادية و المادية فقط، وبتأكيدنا على ضرورة الانفتاح على الأبعاد الثقافية والرمزية والذاتية في فهم ديناميات التغير الاجتماعي. كما عالجنا إشكالية العقلية والعقلاني والعقلانية مميزين بين هذه المستويات المفاهيمية الأبعاد الثلاثة كبنية ذهنية جماعية و العقلاني كخاصية للفعل أو الخطاب، والعقلانية كمشروع نظري ومنهجي هذا التمييز أتاح لنا تجنب الخلط المفاهيمي وتحقيق الدقة في التحليل السوسيولوجي.

كما تطرقنا الى مقارنة الانتقاء المرجعي بوصفها إستراتيجية تسمح بالاستفادة من المرجعيات الثقافية المتعددة دون الوقوع في النسبية المطلقة أو الانغلاق، مما يفتح إمكانية بناء عقلانيات سياقية ملائمة للخصومات المحلية.

وفي قسم العقلانية في علم الاجتماع قمنا باستعراض الإسهامات الفيبيرية الأساسية في تأصيل مفهوم العقلانية داخل الحقل السوسيولوجي مع التركيز على التمييز على أنماط الفعل العقلاني المختلفة وعلى مفهوم البيروقراطية للعقلنة الحديثة.

أما نقد العقلانية والنموذج المثالي فقد تناولنا فيه القيمة المنهجية للنموذج المثالي الفيبيري، مع الإشارة الى حدوده والى الانتقادات الموجهة له من حيث ميله الى التجريد المفرط، وصعوبة تطبيقه الامبريقي.

وختاما ب نقد العقلانية والحدثة، اذ قمنا بفحص التناقضات الداخلية للمشروع الحداثي، مستعرضين إسهامات المدارس في الكشف عن جدلية التنوير التي تنقلب فيها العقلانية الى أداة للسيطرة والاعتراب.

وتوصلت الدراسة الى جملة من النتائج الجوهرية متمثلة فيما يلي:

- التعددية المفاهيمية للعقلانية: اذ ان العقلانية لا تشكل مفهوم واحد بل هي حقل مفاهيمي متعدد السياقات التاريخية والاجتماعية.
- المفارقات الحداثية: اذ ان العقلنة المفرطة أنتجت لنا أشكال جديدة من العقلانية منها الاعتراب والبيروقراطية المتضخمة والأزمات البيئية.
- محدودية العقلانية الأداتية: تتمثل في تحول العقلانية بمعناها التقني من أداة للتحرر الى آلية للسيطرة مما يتوجب استعادة الأبعاد القيمة والأخلاقية والتواصلية.

- الحاجة الى التمييز المفاهيمي: ان تمييزنا لمفاهيم العقلية و العقلانية و العقلاني جانب مهم و ضروري لتجنب الخلط المنهجي و لفهم مستويات التحليل السوسيولوجي.

- السياقات الثقافية: ان العقلانية تتشكل في سياقات ثقافية و اجتماعية محددة مما يجعل من الضروري تجاوز المركزية الأوروبية والانفتاح على عقلانيات بديلة.

- ضرورة النقد الذاتي للعقلانية لحمايتها من الجمود والتحول .

وختاماً يمكن القول ان النظر في العقلانية يمثل مهمة علمية مستمرة و ضرورية لفهم التحولات الاجتماعية المعاصرة، فالعقلانية ليست مفهوم جاهز أو نهائي بل هي عملية تاريخية ديناميكية تحتاج الى مساءلة دائمة و نقد بناء، وان تحدي اليوم هو على بناء عقلانية نقدية منفتحة تحافظ على صرامتها المنهجية و فاعليتها التحليلية، مع افتتاحها على التنوع الثقافي والقيم الإنسانية و البعد الأخلاقي، عقلانية قادرة على ان تكون أداة للتحرر و التنوير لا للسيطرة و الإقصاء وهذا ما يطلب جهد جماعيا من الباحثين و المفكرين و الفاعلين الاجتماعيين لإعادة إنتاج العقلانية و ممارستها بما يخدم الكرامة الإنسانية و العدالة الاجتماعية.

ومن خلال ما توصل إليه هذا المقال من نتائج نتوصل الى التوصيات التالية:

- تطوير مقاربات نظرية تكاملية تجمع بين مختلف أبعاد العقلانية الأدائية و القيمية و التواصلية.
- إجراء دراسات امبريقية معمقة حول تجليات العقلانية في السياقات المحلية و العربية و الإسلامية، بهدف فهم كيفية تفاعل النماذج العقلانية الحديثة مع البنى الثقافية التقليدية.
- تعزيز البحوث المقارنة بين العقلانيات في حضارات مختلفة بما يسمح بتجاوز المركزية الغربية و اكتشاف نماذج العقلانية البديلة.
- إدراج مقررات نقدية حول العقلانية ضمن برامج علم الاجتماع و العلوم الإنسانية تتناول تاريخها و أبعادها و اشكالياتها المعاصرة.
- تعزيز العقلانية التواصلية في الفضاء العام.
- مراجعة نقدية للمؤسسات البيروقراطية بهدف الموازنة بين الكفاءة و التقنية .
- دمج البعد الأخلاقي و القيمي في الممارسات المؤسسية.
- إنشاء شبكات بحثية إقليمية و دولية لتبادل المعارف حول إشكالية العقلانية.

قائمة المراجع:

- ريتزر، جورج، وستينسكي، جيفري. (2021). *النظريات الحديثة في علم الاجتماع* (د. ب. م. الدوسري وآخرون، دققوه وراجعوه، ط1). مكتبة جرير.
- كوتنغهام، جون. (1997). *العقلانية، فلسفة متجددة* (م. م. الهاشمي، مترجم، ط1). مركز الإنماء الحضاري.
- لايدر، إريك. (2000). *قضايا التنظير في علم الاجتماع* (ع. السمرى، مترجم). الشركة الإعلامية للطباعة والنشر